

فضائل القرآن

من لم يتغن بالقرآن .

وقول اﷻ تعالى { أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم } .

حدثنا يحيى بن بكير : ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال أخبرني أبو سلمة بن

عبدالرحمن عن أبي هريرة رضى اﷻ عنه أنه كان يقول : قال رسول اﷻ ؟ .

[لم يأذن اﷻ لشيء ما أذن لنبي يتغن بالقرآن] وقال صاحب له : يريد يجهر به فرد من

هذا الوجه ثم رواه عن علي بن عباد بن المديني عن سفيان بن عيينة عن الزهري به قال

سفيان : تفسيره يستغنى به .

وقد أخرجه مسلم والنسائي من حديث سفيان بن عيينة به ومعناه أن اﷻ تعالى ما استمع لشيء

كاستماعه لقراءة نبي يجهر بقراءته ويحسنها وذلك أنه يجتمع في قراءة الأنبياء طيب الصوت

لكمال خلقهم وتمام الخشية وذلك هو الغاية في ذلك وهو سبحانه وتعالى يسمع أصوات العباد

كلهم برهم وفاجرهم كما قالت عائشة رضى اﷻ عنها : سبحان الذي وسع سمعه الأصوات ولكن

استماعه لقراءة عباده المؤمنين أعظم كما قال تعالى { وما تكون في شأن وما تتلوا منه من

قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه } الآية ثم استماعه لقراءة

أنبيائه أبلغ كما دل عليه هذا الحديث العظيم ومنهم من فسرالأذن ههنا بالأمر والأول أولى

لقوله : .

[ما أذن اﷻ لشيء ما أذن لنبي يتغن بالقرآن] أى يجهر والأذن الاستماع لدلالة السياق

عليه وكما قال تعالى { إذا السماء انشقت * وأذنت لربها وحقت * وإذا الأرض مدت * وألقت

ما فيها وتخلت * وأذنت لربها وحقت } أى استمعت لربها وحقت أى وحق لها أن تستمع أمره

وتطيعه فالأذن ههنا هو الاستماع ولهذا جاء في حديث رواه ابن ماجه بسند جيد عن فضالة بن

عبيد قال : قال رسول اﷻ A : [أشد أذنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب

القينة إلى قينته] .

وقول سفيان بن عيينة أن المراد بالتغن به فان أراد أنه يستغنى به عن الدنيا وهو

الظاهر من كلامه الذي تابعه عليه أبو عبيد القاسم بن سلام وغيره فخلاص الظاهر من مراد الحديث

لأنه قد فسر بعض رواياته بالجهر وهو تحسين القراءة والتحزين بها قال حرمله سمعت ابن عيينة

يقول معناه يستغنى به فقال لى الشافعى ليس هو هكذا ولو كان هكذا لكان يتغانى إنما هو

يتحزن ويترنم به قال حرمله وسمعت ابن وهب يقول : يترنم به وهكذا نقل المزني والربيع عن

الشافعى C .

وعلى هذا فتصدير البخارى الباب بقوله تعالى { أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون } فيه نظر لأن هذه الآية ذكرت ردا على الذين سألوا آيات تدل على صدقه حيث قال { وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عندنا وإنما أنا نذير مبين * أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم { الآية ومعنى ذلك أو لم يكفهم آية دالة على صدقك إنزالنا القرآن عليك وأنت رجل أُمي { وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون } أى وقد جئت فيه بخبر الأولين والآخرين فأين هذا من التغنى بالقرآن وهو تحسين الصوت به أو الاستغناء به عما عداه من أمور الدنيا ؟ فعلى كل تقدير تصدير الباب بهذه الآية فيه نظر .

فصل .

فى إيراد أحاديث فى معنى الباب وذكر أحكام التلاوة بالأصوات .

قال أبو عبيد : حدثنا عبد الله بن صالح عن قباث بن رزين عن على بن رباح اللخمي عن عقبة بن عامر قال : خرج علينا رسول الله ﷺ يوما ونحن فى المسجد نتدارس القرآن قال : [تعلموا كتاب الله واقتنوه - قال : وحسب أنه قال وتغنوا به - فوالذى نفسى بيده لهو أشد تغلثا من المخاض العقل] وحدثنا عبد الله بن صالح عن موسى بن على عن أبيه عن عقبة عن رسول الله ﷺ مثل ذلك إلا أنه قال : [واقتنوه وتغنوا به] ولم يشك .

وهكذا رواه النسائي فى كتاب فضائل القرآن من حديث موسى بن على عن أبيه به ومن حديث عبد الله بن يزيد المقرئ عن قباث بن رزين عن على ابن رباح عن عقبة - وفى بعض ألفاظه : [خرج علينا ونحن نقرأ القرآن فسلم علينا وذكر الحديث ففيه دلالة على السلام على القارئ] وقال أبو عبيد : ثنا أبو اليمان عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم المهاجر ابن حبيب قال : قال رسول الله ﷺ : [يا أهل القرآن لا توسدوا القرآن واتلوه حق تلاوته آناء الليل والنهار وتغنوه وتقنوه واذكروا ما فيه لعلكم تفلحون] وهذا مرسل ثم قال أبو عبيد : قوله تغنوه أى اجعلوه غناءكم من الفقر ولا تعدوا الإقلال معه فقرا وقوله وتقنوه يقول : اقتنوه كما تقتنوا الأموال اجعلوه ما لكم .

وقال أبو عبيد : حدثنى هشام بن عمار بن يحيى بن حمزة عن الأوزاعى قال : حدثنى إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر عن فضالة بن عبيد عن النبى ﷺ قال : [أشد أذنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته] .

قال أبو عبيد : هذا الحديث بعضهم يزيد فى إسناده يقول عن إسماعيل عبيد الله عن مولى فضالة عن فضالة وهكذا رواه ابن ماجة عن راشد سعيد بن أبى راشد عن الوليد عن الأوزاعى عن إسماعيل بن عبيد الله عن ميسرة مولى فضالة عن فضالة عن النبى ﷺ : [أشد أذنا إلى الرجل

الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى فينته [.

قال أبو عبيد : يعنى الاستماع وقوله فى الحديث الآخر [ما أذن ا [لشدء [أى ما استمع .
وقال أبو القاسم البغوى : حدثنا محمد بن حميد ثنا سلمة بن الفضل ثنا عبدا [بن
عبدالرحمن بن أبى مليكة حدثنا القاسم بن محمد حدثنى السائب قال : [قال لى سعد : يا
ابن أخى هل قرأت القرآن ؟ قلت : نعم قال : غن به فإنى سمعت رسول ا [يقول : غنوا
بالقرآن ليس منا من لم يغن بالقرآن وابكوا فإن لم تقدرؤا على البكاء فتباكوا [.
وقد روى أبو داود من حديث الليث عن عبدا [بن أبى مليكة عن عبدا [بن أبى نهيك عن سعد
بن أبى وقاص قال : قال رسول ا [: .

[إن هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكو فتباكوا وتغنوا به فمن لم
يتغن به فليس منا] وفى الحديث كلام طويل يتعلق بسنده ليس هذا موضعه وا [أعلم .
وقال أبو داود : ثنا عبد الأعلى بن حماد ثنا عبد الجبار بن الورد قال : [سمعت ابن أبى
مليكة يقول : قال عبيد ا [بن أبى زيد : مر بنا أبو لبابة فاتبعناه حتى دخل بيته فدخلنا
عليه فإذا رجل رث البيت رث الهيئة (فانتسبنا له فقال : تجار كسبة) فسمعته يقول :
سمعت رسول ا [يقول : ليس منا من لم يتغن بالقرآن [قال : فقلت لابن أبى مليكة يا أبا
محمد أ رأيت إذا لم يكن حسن الصوت قال : يحسنه ما استطاع تفرد به أبو داود فقد فهم من
هذا أن السلف رضى ا [عنهم إنما فهموا من التغنى بالقرآن إنما هو تحسين الصوت به
وتحزينه كما قال الأئمة رحمهم ا [ويدل على ذلك أيضا ما رواه أبو داود حيث قال : ثنا
عثمان بن أبى شيبه ثنا جرير عن الأعمش عن طلحة عن عبدالرحمن بن عوسجة عن البراء بن عازب
قال قال رسول ا [: [زينوا القرآن بأصواتكم] .

وأخرجه النسائى وأبن ماجة من حديث شعبة عن طلحة وهذا اسناد جيد وقد وثق النسائى وابن
حبان عبدالرحمن بن عوسجة هذا ونقل الأزدي عن يحيى بن سعيد القطان أنه قال : سألت عنه
بالمدينة فلم يحمده .

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة قال نهاني أيوب أن أحدث
بهذا الحديث [زينوا القرآن بأصواتكم] قال أبو عبيد : وانما كره أيوب فيما نرى أن
يتأول الناس بهذا الحديث الرخصة من رسول ا [فى الألحان المبتدعة فلهذا نهاه أن يحدث
به (قلت) : ثم إن شعبة C روى الحديث متوكلا على ا [كما روى له وولو ترك كل حديث
يتأوله مبطل لترك من السنة شيء كثير بل قد تطرقوا إلى تأويل آيات كثيرة من القرآن
وحملوها على محاملها الشرعية المرادة وبا [المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا
بالمراد تحسين الصوت بالقرآن تطريبه وتحزينه والتخشع به كما رواه الحافظ الكبير
تقى بن مخلد C حيث قال : ثنا أحمد بن ابراهيم عن أبى موسى عن أبيه قال : [قال لى رسول

□ A ذات يوم : يا أبا موسى لو رأيته وأنا أستمع قراءتك البارحة قلت أما وا □ لو علمت أنك تسمع قراءتي لحبرتها لك تحبيرا [.

رواه مسلم من حديث طلحة به وزاد [لقد أوتيت زممارا من مزامير آل داود] وسيأتى هذا فى - بابه حيث يذكره البخارى والغرض أن أبا موسى قال : لو أعلم أنك تسمعه لحبرته لك تحبيرا فدل على جواز تعاطى ذلك وتكلفه وقد كان أبو موسى كما قال عليه السلام : قد أعطى صوتا حسنا - كما سأذكره إن شاء الله - مع خشية تامة ورقة أهل اليمن فدل على أن هذا من الأمور الشرعية قال أبو عبيد : حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن يونس عن ابن شهاب عن أبي سلمة قال : كان عمر إذا رأى أبا موسى قال : ذكرنا ربنا يا أبا موسى فيقرأ عنده قال أبو عبيد : ثنا سليمان التيمي أو نبئت عنه ثنا أبو عثمان النهدي كان أبو موسى يصلى بنا فلو قلت أنى لم أسمع صوت صنع قط ولا يربط قط ولا شيئا قط أحسن من صوته .

وقال ابن ماجه : حدثنا العباس بن الدمشقي ثنا الوليد بن مسلم حدثني حنظلة بن أبي سفيان أنه سمع عبدالرحمن بن سابط الجمحي يحدث عن عائشة قالت : [ابطأت على رسول الله ليلة بعد العشاء ثم جئت فقال : أين كنت ؟ قلت : كنت أسمع قراءة رجل من أصحابك مثل قراءته وصوته من أحد قالت : فقام فقمتم معه حتى أستمع له ثم التفت إلى فقال : هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد الذي جعل فى أمتي مثل هذا] إسناد جيد وفى الصحيحين عن جبير بن مطعم قال : [سمعت رسول الله يقول فى المغرب بالطور فما سمعت أحدا أحسن صوتا أو قراءة منه وفبعض ألفاظه فلما بلغ هذه الآية { أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون * أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون * أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون } كاد قلبى أن يطير وكان جبير لما سمع هذا بعد مشركا على دين قومه وإنما كان قدم فى فداء الأسارى بعد بدر وناهيك بمن تؤثر قراءته فى المشرك المصر على الكفر هذا سبب هدايته ولهذا كان أحسن القراءات ما كان عن خشوع القلب كما قال قال أبو عبيد : ثنا إسماعيل بن إبراهيم عن ليث عن طاوس قال : أحسن الناس صوتا بالقرآن أخشاهم □ وحدثنا قبيصة عن سفيان عن ابن جريج عن ابن طاوس عن أبيه وعن الحسن بن مسلم عن طاوس قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الناس أحسن صوتا بالقرآن ؟ فقال : الذى إذا سمعته رأيته يخشى الله [.

وقد روى هذا متصلا من وجه آخر فقال ابن ماجه حدثنا بشر بن معاذ الضيرى ثنا عبد الله بن جعفر المدينى ثنا إبراهيم بن اسماعيل بن مجمع عن الزبير عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [ان من أحسن الناس صوتا بالقرآن الذى إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله] ولكن عبد الله بن جعفر هذا - وهو والد على بن المدينى - وشيخه ضعيفان وا □ أعلم والغرض أن المطلوب شرعا إنما هو التحسين بالصوت الباعث على تدبر القرآن وتفهمه والخشوع والخضوع والإنقياد للطاعة فأما الأصوات بالنعلمات المحدثة المركبة على الأوزان والأوضاع الملهية

والقانون الموسيقي فالقرآن ينزه عن هذا ويجل ويعظم أن يسلك في أدائه هذا المذهب وقد جاءت السنة بالزجر عن ذلك كما قال الإمام العلم عبيد القاسم بن سلام C حدثنا نعيم بن حماد عن بقية ابن الوليد عن حصين بن مالك الفزاري قال سمعت شيخا يكنى أبا محمد يحدث عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله ﷺ : [اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكبائر وسيجده قوم من بعدى بالقرآن يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح لايجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم] .

وحدثنا يزيد عن شريك عن أبي اليقظان عثمان بن عمير زاذان أبي عمر عن عليم قال : [كنا على سطح ومعنا رجل من أصحاب النبي A قال يزيد لا أعلمه الا قال عابس الغفاري فرأى الناس يخرجون في الطاعون قال : ما هؤلاء ؟ قال يفرون من الطاعون فقال يا طاعون خذني فقالوا أتمنى الموت وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يتمنين أحدكم الموت فقال : إني أبادر خلا سمعت رسول الله ﷺ يتخوفهن على أمته بيع الحكم والاستخفاف بالدم وقطيعة الرحم وقوم يتخذون القرآن مزامير يقدمون أحدهم ليس بافقههم ولا أفضلهم إلا ليغنيهم به غناء وذكر خلتين آخرتين] وحدثنا يعقوب بن إبراهيم عن ليث بن أبي سليم عن عثمان بن عمير عن زاذان عن عابس الغفاري عن النبي A مثل ذلك أو نحوه وحدثنا يعقوب بن إبراهيم عن الأعمش عن رجل عن أنس أنه سمع رجلا يقرأ القرآن .

بهذه الألحان التي أحدث الناس فأنكر .

ذلك ونهى عنه وهذه طرق حسنة .

باب الترهيب وهذا يدل على أنه محذور كبير وهو قراءة القرآن بالألحان التي يسلك بها مذاهب الغناء وقد نص الأئمة رحمهم الله ﷺ على النهي عنه فأما إن خرج به إلى التتميط الفاحش الذي يزيد بسببه حرفا أو ينقص حرفا فقد اتفق العلماء على تحريمه والله أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : ثنا محمد بن معمر ثنا روح ثنا عبيداً بن الأخنس عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : A .

[ليس منا من لم يتغن بالقرآن] ثم قال : إنما ذكرنا هذا لتبيين الاختلاف على ابن أبي مليكة فيه فرواه عبد الجبار بن الورد عنه عن ابن أبي مليكة عن أبي لبابة ورواه عمرو بن دينار والليث عنه عن أبي نهيك عن سعد ورواه عسل بن سفيان عنه عن عائشة ورواه نافع مولى ابن عمر عنه عن ابن الزبير